آداب إسلامية .. في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة

كما تعلمون الإسلام في مجمله عقائد وعبادات ومعاملات وآداب، فالآداب ربع الدين، قضية تتعلق بالعقيدة، قضية الصلوات مع العبادات، قضية الدين والوكالة والحوالة والطلاق والخلع مع المعاملات، قضية احترام الآخرين التواضع لهم خدمتهم متعلقة بالآداب، بل إن الذي لفت نظر أصحاب رسول الله في رسول الله هذا الأدب الجم، هذا التواضع، حتى أنه سئل: ما هذا الأدب يا رسول الله؟ قال: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

وإن لم يكن أدب المؤمن صارخاً يلفت النظر ففي إيمانه شك، لا يمكن لمؤمن أن يكون وقحاً، ولا أن يكون بذيئاً، ولا أن يكون فاحشاً، ولا أن يكون مستعلياً، ولا متكبراً، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

كنت أضرب هذا المثل كثيراً: إنسان فقير جاءه ضيوف كثر، لا يوجد عنده إلا كيلو لبن، أضاف إلى هذا اللبن أربعة أحجام، فجعله عيراناً، وقدمه لضيوفه أربع أحجامه، وبقي اللبن لبنا وسائغاً للشاربين، وقدم ضيافة، أما لو وضع في هذا اللبن قطرة من النفط أفسده، ولا بد من أن يستغني عنه، كذلك الكبر يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

في الدرس السابق تحدثت عن المعاقين بشكل أو بآخر، من كان حظه في الدنيا قليلا، حظه من الصحة قليلاً، فقد بصره، أو فقد حركته، وبينت أن الحظوظ في الدنيا توزع توزيع ابتلاء، لأنها سوف توزع في الآخرة توزيع جزاء، فالعبرة لا للدنيا بل للآخرة، وبينت أيضاً أنه من سوء الفهم، ومن سوء التصور أن تعتقد أن الله إذا حرمك شيئاً فأنت عنده مهان، لا والله، وأنه إذا أعطاك شيئاً فأنت عنده مكرم، لا والله، ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرماني دواء، فالمؤمن بالحقيقة حينما ينطلق من تصور صحيح يتصرف تصرفاً صحيحاً، وأنا أؤكد لكم والله ما من سلوك منحرف إلا بسبب تصور منحرف، قد يبدو لكم هذا الموضوع ثانوياً، أو يعني فئة قليلة، لا والله، لو أن طفلاً صغيراً قصير القامة أو يوجد عنده عيب خلقي، والمعلم سخر من هذا العيب أمام زملائه، أقسم لكم بالله إن هذا المعلم في حق هذا الطالب مجرم، المعلم المؤمن يتجاهل هذا العيب تجاهلاً كاملاً، ويعامله كرفاقه تماماً، ويسأله، ويهتم له، ويثني على تفوقه، وكأن هذه العاهة ليست موجودة، هذا هو المؤمن، هذا هو الذي اصطبغ قلبه بكمال الله، لذلك كم من معلم أو معلمة، أو صاحب متجر، أو رئيس دائرة فرضاً غضب من أحد موظفيه، أو من أحد معه في العمل فوصمه أو عيره بعيب خلقي، وكأن قصة ذكرتها قبل عدة أسابيع هي الآن مناسبة جداً.

إكرام كل من عرف الله وكل من استقام على أمره بغض النظر عن شكله واجب علينا:

إنسان دميم جداً، وقد ذكرت لكم أن بعض التابعين كان قصير القامة، أسمر اللون، أحنف الرجل، ضيق المنكبين، غائر العينين، ناتئ الوجنتين، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه، إذا غضبَ غضبَ لغضبته مئة ألف سيف، لا يسألونه فيم غضب؟ فإنسان جاء النبي عليه الصلاة والسلام قال: يا رسول ماذا علي أن أعمل؟ ذكره بأركان الإسلام؛ تشهد أنه لا إله إلا الله، وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت إلى آخره، فقال: يا رسول الله لو أني فعلت هذا ما لي عند الله؟ قال له: أنت رفيقي في الجنة، انظر إلى هذا التواضع بالمقياس الجمالي صفر، وما لم نحكم قيم القرآن في حياتنا نسقط من عين الله جميعاً، فقال له: أنت معي في الجنة، فقال: يا رسول الله ما بال هؤلاء الذين حولك لا يزوجونني؟ عرضت هذه القصة على أخ كريم متبحر في السيرة قال لي: هذا الرجل أكتع اليد، أعور العين، هكذا قال لي، فقال النبي: اذهب إلى بيت فلان، وقل لهم: إن رسول الله زوجني ابنتكم، ما هذا المجتمع؟ طرق الباب فتح الأب لقيه على هذه الحالة، ما صدقه، طرده سمعت ابنته فقالت: يا أبت ألا تخشى أن يسبقك الوحي إلى رسول الله فينبئه بما صنعت، إن رفضت من أجلي فأنا راضية به، انتهى الأمر.

والله التقيت بإنسان زارني من بيروت، جاء إلى المسجد حدثني قال لي: تزوجت امرأة مؤمنة كفيفة البصر، وهو شاب، والله كما يقولون كالوردة تماماً، هذا عمل عظيم أخلصت إليه إخلاصاً لا يصدق، المعاق يجب أن يعامل معاملة خاصة، سآتي على التفاصيل ينبغي أن تحترمه، هل تصدق إنك إن لم تسلم على كفيف البصر فقد خنته هو لا يراك، ورد في بعض الأحاديث أن ترك السلام على الضرير خيانة، قد تجد إنساناً له لون معين، فيه عيوب بخلقه كثيرة جداً، أنت كمؤمن لا يمكن أن تتعامل معه إلا وفق مقياس العلم والعمل فقط، وفق علمه بالله وعمله الصالح فقط، وما لم نكرم كل من عرف الله، وكل من استقام على أمره فلا يقيم الله لنا يوم القيامة وزناً، مقاييسنا أرضية.

قصة تبين روعة المجتمع الإسلامي في عهد النبي الكريم :

عندما قالت له ابنته هذا الكلام خاف، وأسرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلغه الأمر، النبي عاتبه قال له: والله يا رسول الله ظننته كاذباً، وأشهد أنني زوجته ابنتي، وأبلغ النبي ما قالت له ابنته: إن كنت رفضته من أجلي فأنا راضية به، أي أنا أحترم رغبة رسول الله، هذا مجتمع المؤمنين، فقال له النبي: قل لابنتك: بارك الله لها في عمرها وفي مالها، جيء بالشاب عمك وافق، ماذا عندك يا بني؟ قال: ما معي شيء، على باب الله، فأمر ثلاثة من أصحابه أن يحملوا عنه المهر، أحدهم سيدنا علي، وسيدنا سعد، وسيدنا عبد الرحمن، أعطاه كل واحد مئتي درهم ليشتري به حاجات العرس، العرس في نفس اليوم ليس عندنا سنتين تطلع روحه حتى يأتي العرس، في نفس اليوم، وإذا بمنادي الجهاد ينادي أن يا خيل الله اركبي، هذا الإنسان الذي ما كان يحلم بحياته أن يتزوج لولا تدخل النبي، ما كان يحلم بحياته أن يتزوج إلا بتدخل النبي، آثر الجهاد في سبيل الله فانضم إلى ركب المجاهدين، واستشهد، من شدة تأثر النبي كفنه بيده، ودفنه بيده، وصلى عليه، اسمه سعد، وقال: هو رفيقي في الجنة، وأرجو الله أن يعوضه خيراً من زوجته.

هذه القصة انتهت، ما هذا المجتمع؟ فتاة تضع حظها من الشباب تحت قدمها أمام رغبة رسول الله، وشاب حلمه الأكبر أن يتزوج، أن يتزوج أية امرأة، وكانت امرأته جميلة جداً، هذه المفارقة فآثر الجهاد، وأب سارع إلى إرضاء النبي، لو كان شبابنا وشاباتنا وأولياء الأمور بهذا المستوى ينبغي أن نملي إرادتنا على طغاة الأرض، مرة وزيرة زارت بلدنا الطيب، واستقبلها الوزير المماثل لها، ومعه كبار موظفي الوزارة، ويوجد رجل من كبار الموظفين متفوق جداً في اختصاصه لكنه ملتزم، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((إني لا أصافح النساء))

[السيوطي عن أميمة بنت رقيقة]

ولم يصافحها، فغضبت غضباً لا حدود له، فالوزير انزعج منه قال له: كانت تأكلك لو صافحتها؟ هكذا أحرجتنا، فمنعه أن يأتي على طعام الغداء، كان ثمة حفل تكريم، هي سألت عنه: أين فلان؟ هناك موظف عندك لم يصافحني، أريد أن أراه، اطلبوه، فاضطر أن يدعى ثانية إلى الحفل، فسألته: لِمَ لَمْ تصافحني؟ فقال: أنا مسلم، وأنا ملتزم، ومن تعليمات ديننا العظيم أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يكن يصافح النساء، أو لم يكن يصافح امرأة أجنبية، وأنت بالنسبة إلي امرأة أجنبية، فقالت للوزير: لو أن المسلمين أمثال هؤلاء لكنا تحت حكمكم، أنا قست على ذلك لو أن شبابنا وشاباتنا وأولياء أمورنا بهذا المستوى من الالتزام والحب لأملينا إرادتنا على أعدائنا.

أول موقف من مواقف المؤمن في التعامل مع المعاق أن يكون شاكراً لله :

إذاً أرأيت إلى هذا الأدب الجم مع المعاق، هذا الدميم معاق، الكفيف معاق، الأعرج معاق، أنا فيما أتصور لا يمكن أن يحس المعاق في مجتمع المسلمين أنه معاق هكذا والله إيماني، لا يمكن أن يحس المعاق بين المؤمنين أنه معاق، لأنهم يعاملونه كإنسان، يعاملونه كإنسان ذي كرامة في أعلى مستوى، أنا أعطيكم مثلاً من واقع المسلمين، أيام يكون في طفل جميل الصورة حركاته لطيفة جداً، وكلامه عذب، وطفل سبحان الله ظله ثقيل، وحركاته غير مقبولة، الأب المؤمن يعامل الاثنين معاملة متساوية تماماً من حيث الاهتمام، من حيث تقبيله من حيث أن يضعه في حضنه من حيث الإصغاء له أبداً.

أذكر في السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يضع الحسن على ركبته، وكان جميل الصورة، وكان شبيه رسول الله، ويضع ابن سيدنا زيد؛ أسامة بن زيد حب رسول الله، وكان أسود اللون أفطس الأنف على ركبته اليسرى، وكان يضمهما، ويشمهما، وقد سمى الصحابة أسامة بن زيد حب رسول الله، ما نظر النبي لا إلى اللون، عيونه كبار، الحمار عيونه كبار أيضاً، ما نظر النبي لا إلى عينيه ولا إلى لونه، نظر إلى إنسانيته.

أحد علماء الشام توفي رحمه الله جاءه تلميذ قال له: أريد أن أتزوج، قال له: يا بني اخطب، قال له: اخطب لي أنت، قال له: يا بني هذا ليس عملي، فقال له: اخطب لي، قال له: ماذا تريدها؟ قال له: أريدها بيضاء، وعيونها كبار، قال له: حسناً، أعطني كيلوين قضامة، وأدخله على زريبة فيها حمارة بيضاء.

يجب أن يكون مقياسنا في التعامل مقياساً إسلامياً، طفل أجمل من طفل، الوظيفة، يوجد موظف معاق يجب أن تعامله كأنه تام.

مواقف للمؤمن في التعامل مع المعاق :

1 ـ أول موقف أن يكون المؤمن شاكراً لله فيما بينه وبين الله :

فأول موقف من مواقف المؤمن في التعامل مع المعاق أن يكون شاكراً لله فيما بينه وبين الله، لأن سيدنا زكريا: «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا» [سورة مريم: 3]

دون أن تتحرك شفتاك، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه، هناك أناس فقدوا أحد أطرافهم، يوجد أناس عندهم عاهات صعبة جداً، وتراه صابراً راضياً عن الله عز وجل، فإذا أنت ذكرته بعاهته، أو ابتعدت عنه لعاهته سقطت من عين الله، فالمعاق يجب أن يعامل أرقى معاملة المعاق، يجب أن ينسى في مجتمع المؤمنين أنه معاق.

أبو سفيان يقف في باب عمر فلا يؤذن له، سيد قريش، وبلال وصهيب يدخلون بلا استئذان، فلما دخل عليه أبو سفيان عاتبه قال له: أبو سفيان يقف ببابك وبلال وصهيب يدخلان بلا استئذان، فقال له عمر: أنت مثلهما؟ حينما كان يعذبان في سبيل الله أين كنت أنت؟ كنت مع المعذّبين.

لذلك أخوانا الكرام، لا أتصور معلم مدرسة، والله الذي لا إله إلا هو قد يقول معلم لطالب: أنت غبي، فتنشأ عنده عقدة ترافقه حتى الموت:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي هريرة]

السيدة عائشة وصفت السيدة صفية رضوان الله عليهما بأنها قصيرة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((يا عائشة لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ))

[رواه أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها]

فأول أدب من آداب التعامل مع المعاق أن تشكر الله عز وجل دون أن تسمعه كلمة بينك وبين الله، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه.

2 ـ الشيء الثاني أن تهتم به الاهتمام المعتدل:

الشيء الثاني أن تهتم به الاهتمام المعتدل، الاهتمام الطبيعي، هناك اهتمام يلفت النظر غير معقول، شدة الاهتمام تذكره بعاهته، وهناك إهمال يلفت النظر، ينبغي أن تهتم به كما كان صحيحاً، ينبغي أن تصغي إلى سؤاله أساساً، ما رأيت عالماً عند الله مقرباً إلا يهتم بأي سؤال، هناك جبابرة العلماء إذا السؤال غير جيد يسمع تهكم، يتهكم تهكم يحطم السائل، أنا أذكر هذا في التعليم، أحياناً طالب ضعيف في مادة، ضعيف جداً، يقول له: اجلس أنت لا تفهم، حطمته، هذا كيف علاجه؟ تعطيه سؤال سهل جداً فأجاب تقول له: بارك الله بك جيد هذا ستين، سبعين، أنت أنعشته لما جئت له بسؤال سهل فأجاب عليه وأثنيت عليه أعطيته مكانة، الإنسان يعيش بكرامته، هذا الذي يدير صف أو يدير مجموعة إذا عامل المتخلفين أو المعاقين معاملة خاصة فيها ازدراء أو فيها إهمال، أنا لا أبالغ، ولم أكن متجنياً عليهم حينما أقول: هذا العمل يشبه الجريمة، لأنه يحطم نفسية إنسان إلى أمد طويل، وأكثر عقد الطلاب أحياناً من مدرسيهم في التعليم الابتدائي والإعدادي، مدرس قاسي جاهل أي مرتزق، أنا لا أرى في التعليم إلا أن تكون صاحب رسالة، ما من حرفة أشرف في الأرض من التعليم لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((وإنما بعثت معلماً))

[أخرجه الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((إنما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ حُسْنَ الأخلاقِ))

وقفات رمضانية

السبع المثاني

تسمى سورة الفاتحة بالسبع المثاني لأن المصلي يثني بها أي يعيدها في كل ركعة من صلاته، أو لأن المصلي يثني عند قراءتها على الله عز وجل ، ويعني هذا الثناء أنه يمدحه بها، أما السبع ، فهذا لأن عدد آياتها سبع آيات ،وهذه الآيات وتفاسيرها هي بسْم الله الرّحْمن الرّحيم (1) تفتتح آيات سورة الفاتحة بَقراءة القرآن باسَمَ الله مستعينا به، (الله) المعبود بحق دون سواه، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يسمى به غيره سبحانه. و(الرّحْمَن) هو ذو الرحمة العامة الذي وسعت كل شيء، (الرّحيم) بالمؤمنين الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) حيث يتم الثناء فيَ هذه الآية على الله بصفاته التي تشمل أوصاف الكمال، وبنعمه ما ظهر منها وما بطن، دينية كانت أو دنيوية ، وفي ضمن هذه الآية أَمْرٌ لعباد الله أن يحمدوه، فهو وحده المستحق للعبادة، وهو سبحانه المنشئ للخلق، القائم بأمورهم، المربي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح. الرّحْمَن الرّحيم (3) (الرّحْمَن)هو الذي وسعت رحمته كل شيءَ، (الرّحَيم)، بالمؤمنينَ، وهما اسمان من أسماء الله تعالى. مَالكَ يَوْم الدّين (4) فالله تعالى وحده من يملك يوم القيامةَ، وهوَ يوَم الدّي يجازي فيه الله عباده على الأعمال. وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من صلواته تذكير له من ربه باليوم الآخر، وحث له على الاستعداد لهول هذا اليوم بالعمل الصالح، والكف عن السيئات والمعاصي إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعينُ (5) وتعني هذه الآية ان عباد الله يخصونَه وحده تعَالى بالعبادة، ويستعينون به في جميع أمورهم فالأمر كله بيده سبحانه، لا يملك منه أحد مثقال ذرة. كما أن في هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة كالاستغاثة والدعاء والذبح والطواف إلا لله وحده، وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير اله، ومن أمراض الرياء والكبرياء والعجب اهْدنَا الصّرَاطَ المُسْتَقيمَ (6) وهي طلب من عباده تعالىَ أن يوفّقهم ويهديهم ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، وأن يثبتهم عليه إلى أن يلقوه، وهو الإسلام، الذي هو الطريق الواضح الذي يوصل إلى رضوان الله و جنته، الذي دل عليه خاتم رسله وأنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، فلا سبيل إلى سعادة العبد إلا بالاستقامة عليه. صرَاطَ الّذينَ أنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر المَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضّالّينَ (7) طريق الذينَ أنعمتَ عليهم منَ الصدّيقين والنبيينَ والشهداء والصالحين، فهم أهل الاستقامةَ والهداية ، و أن لا يجعل عباده ممن سلك طريق المغضوب عليهم، أولئك الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به ، كاليهود ومن كان على شاكلتهم، والضالين، وهم الذين لم يهتدوا، فضلوا الطريق، وهم النصارى، ومن اتبع سنتهم. وفي هذا الدعاء شفاء لقلب المسلم من مرض الجهل والجحود والضلال، ودلالة على أن أعظم نعمة على الإطلاق هي نعمةالإسلام

«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»

لقد خلقنا الله تعالى لعبادته ، وأعظم العبادات أركان الإسلام الخمسة ، وقد تكلمت تفصيلاً عن الركن الأول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وباقي الأركان هي : إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلى . في هذه الآيات يبين الله تعالى الغاية من خلق الخلق بنوعيه من الانس والجن ، وهي «إلا ليعبدون» ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ، متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه..... والظاهر أن المراد بها ما كانت بالاختيار دون التي بالتسخير الثابتة لجميع المخلوقات.... فتأمل ، فالمراد بالعبادة التذلل والخضوع لا بالتسخير لأن الكل عابدون إياه تعالى بالتسخير لا فرق بين مؤمن ، وكافر ، وبر ، وفاجر ، وطير وحيوان وجمادات واحياء، كما في قوله تعالى : « والنجم والشجر يَسْجُدَان « [الرحمن : 6]...فهذه عبادة بالتسخير .... وكما في قوله تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11). ويؤيد ذلك ما قاله عَلي بن أبي طالب رضى الله عنهَ : «إلا ليعبدون» أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي ، ويؤيده قوله عز وجل: « وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا « وقيل: «إلا ليعبدون» إلا ليوحدوني ، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عز وجل : «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ومثل هذه الآيات يأتي لبيان صنيع المكذبين حيث تركوا عبادة الله تعالى وقد خلقوا لها !!! فقوله : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون « خبر مستعمل في التعريض بالمشركين الذين انحرفوا عن الفطرة التي خُلقوا عليها فخالفوا سنتها اتباعاً لتضليل المضلين . واللام في « ليعبدون « لام العلة ، أي ما خلقتهم لعلة إلا علة عبادتهم إياي . والتقدير : لإرادتي أن يعبدون ، ويدل على هذا التقدير قوله في جملة البيانَ : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون». أي ما أرضى لوجودهم إلا أن يعترفوا لي بالتفرد بالإلهية. فمعنى الإرادة هنا : الرضى والمحبة. ونخلص مما تقدم بأن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية يفردوه ، وهذا حقه على الخلق ، فمنهم من حقق الغاية التي ما خلق الله الخلق الا لأجلها وقام بمقتضى حق ربه عليه ، وهم المؤمنون ، ومنهم من كفر وخالف وعارض قصد الله ومراده من خلق الخليقة وهم الكافرون..... ومن هنا يتقرر أن عبادة الخلق لربهم وخالقهم - الله الحكيم العزيز - هي حقه الخالص الذي يلزم الخلق جميعا أداءه والقيام بموجباته وانه أمر لازم حتم لاختيار فيه .